قصص تائهة

obeikan.com

قصص تائهة

قصص

مرفت البربري

الإسكندرية : حسناء للنشر

الطبعة الأولى : ٢٠١٧

ISBN 978 -977-6535-71-8

رقم الإيداع : ٢٠٠٠٦ / ٢٠١٧

ديوى : ٨١٣

٩٦ ص ، ٢٠ سم

{ جميع الحقوق محفوظة © }

الإسكندرية ، ج . م . ع

٠١٠١٨٨٣١٣٦١

٠٣/ ٥٧٦٥٧٧٧

المدير العام : غادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : غادل أبو الأنوار

الإخراج الفنى : أمير مصطفى

obeikan.com

قصص تائهة

مجموعة قصصية

مرڤت البربري

obeikan.com

obeikan.com

" حزينة الحرف،، تستشف من ورائه معاناة مهيبة،، كلما مَرّت على وقع قصة من الواقع الإجتماعي،، إلا وسطرتها بطريقتها التي إن قرأت لها ، وأمعنت ستجدها كعمق محيط ،، فما تدرك ذاتك إلا وقد لفتك عنوان يحكي لك ما قد فاتك.

تلك هي الكاتبة ذات القلم تلك هي الكاتبة ذات القلم الراقي مرڤت البربري.

ولعلك ستدرك من حكاياتها بعضاً من ذاتك.

الناقدة اللبنانية الأستاذة/ شامية حسن البغدادي

obeikan.com

إهداء

إلى

روح وهبت روحي الإلهام..

ومنحت قلمي نبضة حياة..

obeikan.com

إعادة تدوير

بينما كنت أُعد قهوتي الصباحية سمعت صوت شيء يتكسر، هرعت إلى مكان الصوت فوجدت قطتي قد اصطدمت بمزهريتي الأثيرة فكسرتها، ابتلعتني غصة الحزن، وأغرقني دمع الأسف، ربتُّ على رأسها وأبعدتها في حجرة أخرى كي لا تتأذى، وعدت ألملم الشظايا الصغيرة، لففتها في ورقة ثم في كيس سميك وآخر، شددت وثاق عنقه، ووضعته في قعرٍ ما كي لا يتأذى أحد منه، أمسكت بالقطع الكبيرة وجلستُ أجمعها لأرى كيف أرتق البقايا،

obeikandl.com

هي المرة الثانية لإعادة تدويرها، فسيرتها الأولى كانت عندما أهدانيها.. كبيرة الحجم تسكنها أفنان لأحلى الزهور، فوضعتها في واجهة حجرة الاستقبال، وبعدما ارتطمت بها يد أخي جمعت الكبير من أجزائها فكانت مزهرية تليق لطاولة جانبية في غرفة المعيشة تكفي لزهرات قليلة.

ها أنا أنهيت ترتيب صورتها الجديدة بمادة لاصقة وأشرطة ملونة تخفي آثار الصدمة، ربما تتسع لزهرة أو زهرتين وسأودعها مكانًا قصيًا في غرفتي، ما عاد هناك مجال لإعادة تدويرها، فقد قل عدد ما يمكن تجميعه من جسدها المكلوم، وقلت حيلتي في إعادتها للحياة، تقلص عدد سكانها من الأزهار، فتوارى مكانها، بعد فراغي من عملي رأيت ندوبًا استوطنت راحتي بجوار سابقات كانت نتيجة تضميد القديم من جراح مزهريتي.

كم من ندوب تستطيع أن تتحملها روحي.
كيف سأعيد تدوير علاقاتِ تكسرت فاهترأ جسدها وما عاد يجدي رتقها، وأية جهة يمكنني عندها أن أقصي أوجاعي وقد امتلأ قعر أيامي من شظايا الخلافات.

❊ ❊ ❊

وعد

طفلة تسير حافية القدمين.. ترتدي ملابس بالية.. تملأ الدموع عينيها.. وحفر الدمع أخاديد متعرجة على وجنتيها الناعمتين... كأنها لم تكف عن البكاء مذ ولدت. تسير تائهة ربما فقدت أهلها.. وربما هم من أضاعوا طفولتها.. وألقوا بها في غيابات الطريق... لم تطلب شيئًا ولم تستجدِ عطفًا.. فقط تسير تائهة...مع زجاجة ماء تحتضنها وتحدثها أحيانًا كأنها دمية تلعب بها وتسقيها من حنانها .. أو ربما صنعت منها أملاً عوضها عمن فقدت فكانت غاليتها.

obeikan.com

اتكأت على حائط متعبة... تابعها بعينيه الدقيقتين وأظهر لها عطفًا لم تعتده.. قرأت فيهما وعدًا بأنها ستجد ملجأ لآلامها.. فتعلقت به... خطى إلى محل الحلوى.. عاد ليلقي في حجرها قطعة سكاكر... ابتسمت وظنت أنه سيفي بوعده الذي تلقفته من عينيه . غرقت لثوانٍ في بيت وأهل وحياة تلتقطها مما تعاني.. أمسكت بيدها الصغيرة يديه الغليظتين وكأنها تضع فيهما حلمها أمانة.

سارت بجانبه ففتح سيارته وجلست بجواره.

توقف أمام عمارة كانت بمثابة جبل لهذا الجسم النحيل .

اقتلع غاليتها من حضنها وألقاها في سلة القمامة. فأتبعتها بنظرة ثكلى تعدها بأنها لن تنساها. وهيئ لها أنها تعدها بالانتظار.

صعدا معا ففتح باب منزله ونادى زوجته.. معلنا أنه وجد من ستريحها من أزمة الشغالات وأجورهن.. رأت وعد طفلته تلعب بألعاب لم ترَ لها مثيلا من قبل، حاولت الاقتراب فنهرها وجحظت عيناه.. لا تقتربي منها.

دخلت بها سيدة المنزل إلى الحمام، وطلبت منها تنظيف نفسها ومنحتها ملابس ابنتها القديمة. غسلت بحلمها أدران الضياع المتراكمة على جسدها

المنهك. وارتدت الأمل الجديد مع الملابس القديمة وخرجت..

وجدت زجاجة ماء تشبه غاليتها، احتضنتها وشكت لها أنها لم تجد حلمها الذي قرأته في عينيه ...

رأتها السيدة تحتضن الزجاجة صرخت فيها.

لا تشربي من زجاجة نشرب منها لك أدواتك الخاصة.. ارتاعت من صوتها فوقعت الزجاجة . انطلقت إلى الخارج الشقة تجري تبحث عن غاليتها في سلة القمامة. احتضنتها.. فكلتاهما وفت بوعدها.. وسارتا معًا لتكملا الطريق.. إلى حلم جديد.

obeikan.com

هلال العيد

اقترب موعد العيد ومعه الذكرى الخامسة لتغيّب ابنها الوحيد، حيث اختطِفَ منها أثناء خروجهما لإحضار ملابس العيد، كان طفلها ذو الخمس سنوات والذي أهداه لها الخالق سبحانه بعد عشر سنوات عجاف من الزواج، وكان نداء الأمومة يصرخ في فراغ روحها وبيتها بارد الجدران، كان الأمل في الإنجاب السريع بالحقن المجهري طفيفًا.. فالنتيجة ليست مضمونة كما أخبرها الطبيب وأنه ربما يحتاج لتكرار الحقن أكثر من مرة ويلزم معه علاج دوائي بمبالغ طائلة ربما لا تستطيع حالتها المادية تحمل أعبائها، خاصة وأنها ربة منزل وزوجها موظف في إحدى الوزارات وراتبه من الوظيفة بالكاد يكفي معيشتهما، لكنها أصرت أن تلبي

obeikan.com

ذلك النداء ولو كلفها بيع أحد أعضاء جسدها، ولكن كان القدر رحيما..

فقط باعت ذهبها واستدانت من عائلتها ونظمت لها جارتها في السكن (جمعية) بباقي المبلغ المطلوب، وبرحمة الله وفضل منه سبحانه نجحت أول تجربة للحقن، وكان نتاجها معاذ، أسمته باسم طبيبها الذي كان رِزقها بالولد على يديه تيمنا به، فهي تمنت أن ترى ابنها طبيبًا مثله يحقق الله بيديه أمنيات النساء في الإنجاب.

بدأ معاذ في معرفة معنى العيد وطلب بإصرار الذهاب معها لإحضار ملابسه وثوب لحضور صلاة العيد مع أبيه.

حاولت أن تقنعه بالانتظار لوقت يكون فيه والده معهما، ولكنه لم يوافق وأصر على الذهاب وبكى، فكان قلبها ينفطر لبكائه، أطاعته واستقلت سيارة أجرة، جلست وابنها في المقعد الخلفي، فجأة توقف السائق وأخبرها أن أخاه ينتظره وأنه سيأخذه في طريقهم، ركب الأخ المزعوم بجوار السائق، قام بتخديرها، أفاقت فوجدت نفسها ملقاة في مقابر في مدينة أخرى غير التي تسكنها، حين أفاقت ولم تجد ابنها في حضنها كما كان في السيارة جن جنونها طافت حول القبور تناديه، واصلت الجري كالمجنونة أخذت توقف سيارات الأجرة

باحثة فيها عن فلذة كبدها التي اقتُطعَت من أحشائها، سالت قطرات دم منها حتى أغرقت آثار قدميها، تهاوت قدرتها على احتمال الصدمة مع هبوط ضغطها نتيجة النزيف وسقطت مغشيا عليها.

في مستشفى عام زوجها بعد أن أبلغته الشرطة بالعثور عليها، وأبلغوه بأنه تم سرقة كليتها .

عاد بامرأة أخرى غير تلك التي خرجت مع وليدها، وكما أن للعالم الأزرق أضرارًا مجتمعية أقر بها الباحثون، فقد كانت له هذه المرة معجزة .

جاءها صوت زغاريد جارتها التي خاصمتها منذ أن جرح معاذ وهو يلعب مع ابنها، وأخبرها الطبيب أن هذا الجرح غائر ولن يزول وسيبقى كعلامة في وجهه، أخذت تبكي، وتتأسف لعدم احترام ذكرى ضياع أملها الوحيد في الحياة، ولم تكتفِ بالصخب الذي هز جدران العمارة، فكادت أن تكسر باب الشقة وهي تناديها.

-افتحي يا أم معاذ.

فتحت الباب وهي مذهولة من فعلها فهي لم تتحدث معها منذ حادثة الإصابة حتى بعد ضياع ابنها لم تقبل منها حتى السلام.

احتضنتها الجارة وهي تبكي.. وتتابع الكلمات دون توقف كأنها تخشى أن تنسى ما جاءت من أجله.

-لقيت معاذ.. أيوه أنا اللي لقيته.

والله صدقيني..

ردت باكية تُتأتئ وقد ألجمت المفاجأة لسانها.

-انت بتقولي إيه!؟

-شفت صورته على (الفيس) والله أنا لا يمكن أتوه عنه... الجرح لسة في وشه في نفس المكان . حتى بصي بنفسك.

أظهرت لها الهاتف فرأت صورته.

-هو هو هو، ولكن مين اللي ماسكة إيده.

-مكتوب تحت الصورة إنها أمه والصورة في عيد ميلاده.

-لا دا ابني أنا.

-أيوة يا حبيبتي ابنك وربنا أراد إنه يرجع لك.

-هيرجع إزاي.

-هنشوف عنوانها ونقدم فيها بلاغ بخطفه وهنعلن في كل مكان إنه ابنك والحمد لله فيه تحليل لإثبات النسب.

-الحمد لله الجرح اللي كان سبب خصامنا هو سبب رجوع معاذ.

-نحن لا نعرف أن الخير ربما يكمن فيما نراه شرًا.

أجيال

في مجتمعنا يطلقون على المعلم" مربي أجيال"حيث إنه يقوم بالتدريس على مدار عمره في العمل على أقل تقدير لما يقرب من عَشرةِ أجيال وهذا بحسبة بسيطة.. لو افترضنا ان معلم المرحلة الثانوية يخرج للمجتمع كل ثلاث سنوات جيلاً جديدًا فهو على مدار عمله أثناء مدة خدمته (٣٥) سنة حتى سن التقاعد (٦٠) سنة يكون حاصل تقسيم الـ ٣٥÷٣ =١١ تقريبا..

هذه الأجيال لابد له من أن يكون مع التعليم قد رباها.. أي منحها قدرًا من الثقافة والأخلاق والتدين الوسطي.

obeikandl.com

وهذا عمل الرسل والأنبياء. لذلك فأنا أتشرف بالعمل بمهنة أشرف الخلق "رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم "

لازلت أعمل على تربية الأجيال ولكني أعترف بكل أسف أنني أفشل في تربية الأجيال.. فقط أقوم بتلقينهم المناهج.. فقط أدرب الطالب على كيفية اجتياز الامتحان.

في أحد الأيام اجتزأت من الحصص المقررة لمادتي وقتا للنقاش مع أولادي الطلبة (هكذا دائما أسميهم) عندما وجدت أحدهم يوزع دعوة حضور حفل زفاف.

-ايه دا يا محمد.

دا فرح يا "مس ."

-فرح مين .

-فرح أخت محمود حسين .

أمسكت بالدعوة وجدت صورة لحوالي عشرة من الطلبة بعضهم من نفس الفصل ومن بينهم مُحَدِثي وصور لطلبة من فصول أخرى .

اندهشت لوجود الصور وسألته:

-طيب انت وأصحابك مالكم بفرح أخت محمود.

احنا فرقة المهرجان يا "مس"

-هو مهرجان ولا فرح يابني .

-ياه يا"مس" دا انتي قديمة قوي الفرح بقا مهرجان انتوا اللي بتسموه فرح .

- معلش يا محمد خدني على قدي يابني وفهمني بتعملوا إيه في المهرجان دا .

- كل حاجة تولع الفرح وتخليه هايص ..

لعب بالنار (والاسبراي) ولعب بالمطاوي والسِنج. ونِمَر رقص من كله.. مباخر وتنورة وحاجات تانية. وكمان أغاني شعبية .

أثناء حواري مع محمد قام أحد الأولاد بإخراج صور فيديوهات لأفراح سابقة قاموا بإحيائها.. وكانوا فخورين جدًا بأنهم يعرضون عليّ عملهم وكان كل واحد منهم يتصارع مع أصحابه لأن يشير لي على صورته وكيف يرقص بالمطواة أو كيف يرقص بالنار والاسبراي وراقص التنورة كان أكثرهم فخرًا.

- يعني انتوا بقيتوا فرقة المدرسة لإحياء المهرجانات ..

قلتها ساخرة مبتسمة

- يا "مس"المدرسة فيها ييجي عشر فرق ..

- طيب وبتكسبوا كويس من المهرجانات دي .

- ايه يا "مس"دي أرزاق بقا بلاش الكلام أحسن تتقل بركتها .

- لا بجد متخافش مش هاحسدك.

- 3000 جنيه أول عن آخر بإيجار (الشاسيه والدي جي) وبنقسمها على بعض .

-ولما تتخرجوا هتفضلوا كدا وللا هتشتغلوا بالمؤهل .

-مؤهل إيه دا الواد أحمد فتحي شغال مبيكملش ٣٠جنيه في اليوم والمهندس اللي شغال معاه مطلع عينه. المهرجانات أحلى مكسب .

- طيب لما تروح تتقدم لبنت هتقول لأهلها إن شغلتك مهرجانات وللا الأحسن تقول إنك شغال بمهنتك اللي اتعلمتها .

قال أحدهم من أعضاء الفرقة .

- يا "مس" أنا خاطب وأهل خطيبتي عارفين عادي.. المهم إني قادر أصرف عليها وأجيب لها بيت.

-طيب بصراحة ومش هزعل.. ما تتمناش تبقى مدرس زيي أنا .

انفجر طلاب الفصل بالكامل ضاحكين وابتسمت لهم لأبدو غير غاضبة وأشرت لهم بالهدوء .

- قوم يا عبد العزيز.. ليه ماتتمناش تكون مدرس .

- أنا مقلتش لأ يا مس بس مش زيك.. إنت يدوب بتاخدي مرتبك. متزعليش .

-لا مش هزعل. اتكلم ..

- لو بقيت مدرس هبقى زي أستاذ(دراكولا)

- مين دراكولا .

انفجروا ضاحكين مرة أخرى وأخبروني بصوت واحد ..

- أستاذ محسن علشان بيمص دمنا وياخد فلوس بدون ما يشتغل بيها .

- طيب وانت إزاي عاوز تبقى زيه وانت كاره طريقته؟

- مش مهم المهم أنتقم وأرجّع الفلوس اللي دفعتها للدروس .

حاولت بكل ما أوتيت من جهد وعلوم تربية أن أوضح لهم قيمة المهنة التي سوف يتخرجون وهم قادرون على العمل بها في أرقى الأماكن .

وعن الأمانة في العمل وكيف أن الله سبحانه يكافيء من أخلص في عمله .

وعن قيمة العمل الجاد بالنسبة للمجتمع، وأن المجتمع يقوم على كل المهن والحرف وليس فقط على الرقص وكرة القدم والأغاني .

ولكن كان الواقع الذي يعيشه أبنائي الطلاب أقوى من كل ما حاولت إقناعهم به.
وكل جهودي باءت بالفشل حيث إن الغالب على تفكيرهم (هاخد كام؟).

إذًا فلقد أصبح الأجر هو الهدف .

جلست بعدها لحظات أسأل نفسي عدة أسئلة ..

هل مهنة التدريس تربي أجيالاً في ظل طفرات التغير في الأجيال التي تحدث بصورة لا يمكن ملاحقتها بما يناسبها من طرق تعليم وتربية، وتقويم لسلوك الطالب؟
وهل أصبح المعلم بالنسبة للطالب قدوة يريد أن يصبح يومًا ما مثله؟

أظن أن الإجابة الصحيحة لكل ما سبق(لا)

❊ ❊ ❊

عطر خجول

أعلن بندول الساعة أنه حان وقت الحنين لهذه الليلة. .تمام الثانية عشرة مساءً...ها هو الشوق يعاودها ويعصف بقلبها.. ويمسك بيدها لتطل من نافذتها كي تراه.. إنه موعد وصوله إلى بيته بعد انتهائه من عمله المسائي الذي يذهب إليه بعد عودته من المدرسة الثانوية التي يعمل بها صباحًا كمدرس لمادة الرياضيات، فراتبه منها لا يكفي، ويرفض تمامًا فكرة الدروس الخصوصية ليزيد من دخله لينفق على أسرته المكونة من ثلاثة أطفال وزوجة، تلك التي اختارتها له أمه، فهي ابنة أختها وهي أولى به من الغريبة.. هكذا قالت عندما أخبرها برغبته في الزواج من ابنة الجيران التي أحبها منذ أن دق الحب باب قلبه ..

obeikandl.com

فتحت اللهفة مقدارًا يكفي لأن ترتشف عيناها نظرة إليه لعلها تروي ظمأ قلبها الذي كاد أن يقفز من خلف قضبانه العشرين.. بعدد سنوات الفراق التي اتفقت مع القدر عاما بعد عام في تشييدها لتفصل بين قلبها الذي مازال نبضه يذكره رغما عنها وبين ذلك الحبيب الذي لم يبذل جهدًا في الدفاع عن حبها تاركا الظروف تهدم قصرًا كانا معا يبنيانه ليعيش فيه حبهما، وبعدها قررت أنه لن يرى إشراقة وجهها مرة أخرى من تلك الشرفة.

كانت في الماضي تنتظره متزينة مطلقة سراح شعرها الأسود الذي كان لا يحب أبدا أن تحبسه في ضفيرة أو تقيد حركته (بفيونكة)،

كان يحبه محتضنًا وجهها، هكذا كان يخبرها أنه يحب أن يرى البدر يحيطه سواد الليل.

كانت في الماضي تقف مشرعة مصراعي شرفتها ورئتيها لتستنشق عبق عطره الذي يختلط بالهواء حين يظهر من أول الشارع ويرفع عينيه على استحياء مع ابتسامة خجول ليراها.. ويطفئ شوق يوم مر دون أن تتعانق نظراتهما.

لم يعرف اليأس طريقًا إلى قلبها ولم يعد للأمل فيه مكان .

توفي أبويها منذ سنوات، وتزوج إخوتها جميعًا الأكبر منها والأصغر، الزواج المبكر فرض واجب في عائلتها، كان الخُطّاب يطرقون بابها منذ أن ظهرت أنوثتها، وكان الرفض هو إجابتها الوحيدة لطلبهم دون سبب، كانت تغير مسار الحديث كلما أثارت أمها فكرة الزواج .

حتى بعد أن تزوج، لم تفكر أن تفعل مثله، ولم تترك بيت أبويها للذهاب مع أحد إخوتها كما أرادوا كي لايتركوها وحدها، حتى لا تبتعد عنه، أصبح أبناء إخوتها شبانًا يافعين، واتفقوا على أن يتناوبوا الاطمئنان عليها من وقت لآخر.

أطلت بعينيها دون أن تحرك رأسها، رفع عينيه في احتراس وأسف شديدين.. فهو يعرف أنها هناك تختفي خلف شرفتها، ترقبه بنفس نظرة اللوم التي كانت آخر عهده بنظراتها، ابتسامته تقلصت مع مرور الأيام حتى تلاشت، فغابت معها الفرحة التي كانت تورد وجنتيها كلما تراه، ولكنها لازالت تهب قلبها كل منتصف ليل نبضًا يحيا به يوما آخر في انتظار إطلالة عطره.

❊ ❊ ❊

من أحياها

لقاء كل ليلة أتاه في موعده، غاص في بركته السوداء، وانتشلته العنقاء بأظافرها التي غرستها في عظامه، طارت به بعيدًا وضعته على قمة جبل، تركته ينزف دماء سوداء فتحول الجبل إلى بحر من هذا السواد، غرق فيه مرة أخرى، حاول أن يرفع رأسه ليتنفس أو يقفز خارجه فانتفض مستيقظا، يتصبب عرقًا مسحه بيديه فرأى وكأن يده كانت مغموسة في تلك الدماء، تفل عن يساره واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، لم يشعر به أحد من الراقدين معه في العنبر وكأنهم موتى.

كلما لمس خده الوسادة، أقض مضجعه ذلك الكابوس.

obeikan.com

كدودة زحف على بطنه، متسللا بهدوء، كي لا يفسد كوابيسهم، فهو يشعر بهم حين يستيقظ أحدهم يلهث فزعًا، فيناوله كوب ماء يطفئ به نيران حلمه، قام مسندًا جسده إلى الفراغ مهتديا بالحلكة يتلمس الأشياء بحذر شديد في جوف العتمة.

-ما بالها الليلة.. قمرها مختنق وراء سحب معتمة، ونجومها هجرت سماءها، وكأنها ثارت مثله على ديكتاتورية القمر وسيطرته على كونها .

تسكن الحركة، يتعانق نقيق الضفادع في البركة المجاورة للمعسكر مع صرير البنادق المتأهبة لتنال من أي كائن متحرك يقترب من هذا السواد.

بيوت تلتحف بالرايات السود متناثرة، تغط في نوم عميق، أو ربما مثله تغرق في غيابات الكوابيس .

منذ خمسة أعوام أتى إلى هذا البلد الغريب عن أهله، هاربًا من عقاب محتوم كان سيودي به.. إما في معتقل ما بعد الشمس، أو إعدام جزاء صرخته في وجه الظلم،

فقد خرج في ثورة ضد الحاكم الذي أذاق بلاده ألوان الظلم والقهر وباتت تحت نيِر قيظه أعواما تُعد بأيام عمره، حاول أن يمنح بلاده ربيعًا يرويه بدمائه كما

علمه شيخه الجليل، لينال شرف الشهادة فيلتقي فورًا برسول الله ويُزَفُ إلى سبعين من الحور العين.

وقف وسط الحشود يهتف معهم بسقوطه، قال العبارات المملاة عليه، أشعل الحرائق في الكباريهات، وبيوت عبادة الأوثان "الكنائس" كما خطط المسؤول في الجماعة، حمل حافلة ملأى بالركاب وقذفها من فوق الجسر، أخذوه بعدها ليهرب بعيدًا بعد أن حملت (الكاميرات) صوره أثناء التنفيذ.

حملهم ظلام الليل وملابس التنكر إلى ذلك البلد الشقيق الذي سيطر عليه إخوانه وأقاموا فيها دولة العدل كما أوهموه.

كان ضعيف البنية، ليس مثل كل من حوله من الأجساد القوية والعضلات الفتِية، لم يكن بطلاً ممن يحملون السلاح.

كان خادما لهم داخل المعسكر، الذي لم يرَ داخله من الإسلام إلا الراية، شاهد الظلم بكل ألوانه في دولتهم، سرقة الأطفال وتفخيخهم ثم إرسالهم إلى ما يسمونهم بجيوش دولة الطاغوت.

يُغيرون على القرى ويَسبون نساءها ويقتلون رجالها بدفنهم أحياء.

حاول الهرب من هذا السواد المطبق الجاثم على صدره لكنه لم يفلح.

سمع صوت الأمير يتحدث مع مفتي الدولة، اقترب بخطى متثاقلة ليتسمع لما يقولان، كانا يختاران من بين الإخوة من سينفذ حادث التفجير القادم في جيش العدو. سمع اسمه يتردد في حديثهما، وكيف أنه لم يعد يلزمهم عمله في الخدمة وأن تفجيره أصبح أجدى نفعًا.

-هيه .. لقد أصبحت بلا نفع، ويريدون التخلص مني بعمل مفيد لدولتهم.

حبس أنفاسه وابتعد، جلس بمقربة من البركة وأخذ يحدثها :

- يبدو أنه حان تحقيق حلم كل ليلة.. كنت في بركة سوداء في بلدي وعماء لا يجعلني أرى نور حقيقتهم.. خدعوني بزيف إيمانهم.. جعلوني أكفر كل من حولي حتى والديّ.. رميتهما بالكفر عندما حاولا أن يثنياني عن الانضمام للثورة.. وهاهم أخذوني إلى حيث بركة الدم الأسود.

شياطين كانوا في لباس الملائكة،

ولكن ماذا سأفعل؟

هل سأنفذ ما أرادوا!؟

هل أرفض فيكون مصيري قطع الرأس؟

اهتدى إلى الحل.. رفع رأسه للسماء داعيًا أن يتقبله الله فيمن عنده ..

حان وقت صلاة الفجر.. ذهب إلى الصلاة ..

طلب منه الأمير أن يجلس بعد الصلاة لأنه يريده في أمر مهم..

أخبره بأن موعد زفافه قد حان...وأنه سينال الشهادة التي هي بغيتهم جميعًا ولكنه وحده من حظي بها وأنه سيقضي نحبه وهُم من سينتظرون دورهم.

أتى موعد التنفيذ.. فاغتسل ولبس ثوبًا نظيفًا.. ألبسوه الحزام الناسف ووضع يده على زر التفجير ليكون مستعدًا..

طلب من الأمير أن يراجع معه حفظه لسورة المائدة قبل أن يتحرك وعندما وصل للآية (٣٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

{ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ }

انطلق إلى مخزن السلاح وضغط على زر التفجير.. تناثر جسده كأنه رجوم الشياطين فوق رؤوسهم.

توقفت عيونهم في محاجرها يتبادلون نظرات الاستغراب والفزع.

هذا ما كان استخار الله فيه في آخر ركعتين صلاهما بعد الاغتسال... سوف يغير الهدف.. وسيكون هدفه هو تلك العصابة وبموتهم سيحيا الكثير.

ربما يكفّر بذلك عما فعله وهو في غفلة التكفير.. وعن عقوقه لوالديه..

❊ ❊ ❊

obeikan.com

قسمة ونصيب

أزاحت يده التي تطوق خصرها، وأبعدت برفق أقدامه التي تقبض على قدميها، وتسللت برفق حتى لا توقظه حركتها، قامت على أطراف أصابعها تستحلف الأرض أن تبتلع صدى خطواتها.. تربت بحنو على أكتاف المقاعد.. راجية منها السكون، تمشي على هدى شعاع يأتيها خيطه عبر نافذتها متسللا مثلها كما تعوّد كل ليلة، تعبر الردهة وغرفة المعيشة إلى حيث تلقاه...

متلهفة للقائه الذي تقتنص له بضع سويعات من يومها المترع بالأعمال المثقل بالواجبات مابين احتياجات أطفالها وحاجات زوجها التي تقوم بها كآلة.. تقوم بالعمل تلو العمل بدون إحساس.. وبلا ضجر.

هذه الحالة التي وصلت لها مؤخرًا ..

(تعطي كل ذي حق حقه) راضية أو بدون رضا، وتسرق متعتها التي سُلبت منها لوقت، واشتاقت لنفسها معها، وروحها التي انزوت بعيدًا.. واتخذت مكانا قصيًا في فضاء خيالها البعيد وأحلامها المسلوبة، تنتظر شروقًا تطل فيه على نفسها فتمنحها الدفء والنور لعتمتها التي طالت بين هذه الجدران الثقيلة، وتهبها لقاءً دائمًا ولذة لا تنقطع ولا تزول بمتعتها.. التي باعد بينهما بعد المشرقين ورقة كأنها صك رق منح جسدها لهذا الرجل فصارت تتنفس بأمره ولا يعترف إلا بعمل يعود عليه بالمنفعة .

فصارت تخفي هذا اللقاء عنه، وتطوي سره بين جنبيها فهي لن تنال بغيتها إلا بهذه الطريقة.. فهو لا يعترف بحاجة الروح للتنزه في أروقة الخيال..

كثيرًا ما آلمها بكلماته وسخريته منها عندما كان يراها تمسك بيدها كتابًا تقرأه..

- بدل ما تضيعي وقتك في القراية قومي اعملي حاجة مفيدة ..

- ما أنا عملت كل حاجة .

وهي مستمرة في القراءة دون أن تنظر إليه

- عملت كل شغل البيت .

بحركة هستيرية من يده أطاح بالكتاب أرضًا ..

- لما أكلمك تسيبي اللي في إيدك وتكلميني .

- ما أنا رديت عليك .

همّت بالتقاط الكتاب .

جذبها من ذراعها، أوقفها أمامه.. احتضنها وانهال عليها تقبيلا وهو يقول : أنت بتاعتي وملكي وكل وقتك ليا أنا وبس .

هكذا هو دائما معها .. فقط لا يعرف إلا احتياجات الجسد.. وكيف ينال متعته .

ولم تجدِ حواراتها ومحاولة إقناعه بأن للروح احتياجات كالجسد.. ومتع تفوق متعته .

ها هي وصلت إليه لتخلو به، تستمع إليه بكل جوارحها، تنتشي لحديثه، احتضنته ..لامست ذراته باشتياق أكلته بعينيها المتعطشتين، تنقلت معه من سطر لسطر.. ومن فكرة لفكرة، وكأنها تتجول في أرجاء جنة وارفة تقطف من ثمارها، وتسكر من خمرها.

أفزعها صوته مناديًا، انتفضت وحاولت إخفاءه قبل أن يراه في يدها ولكنها لم تفلح، فقد وصل إليها ورآها تحتضنه، أنهال عليها لومًا، أخبرها أنها ما كان يجب أن تتركه وحيدا في فراشه وأن أحضانه هي الأولى بها، لا تلك الوريقات السخيفة التي تركته من أجلها .

تقف أمامه وكأنها طفلة لم تتعلم الكلام، لا تعرف كيف ترد.. فقط دموعها تتساقط ورأسها تعلن الموافقة على ما يقول .

زاد صراخه في وجهها..

-كل مرة تقفي كدا وتهزي رأسك وبعدها ترجعي تكرري غلطك .

انتزع منها الكتاب، فتح النافذة، تتمسك بيديه متوسلة ألا يفعل، يُلقي به خارجها...

تظهر بداخلها امرأة نضجت فأسرّت التمرد .

انتفضت لِما رأته داخلها ولهذه المتمردة التي افتقدتها منذ زواجها .

ولكنها ارتاحت لظهورها مرة أخرى ولحديثها معها .

استسلمت.. وعادت معه لحجرتها...

تنظر إلى الفراش ترى وكأن عليه أشواك منثورة .

كم غُرِست هذه الأشواك في جسدها وتغلغلت حتى جعلت روحها تنزف كل ليلة وجعًا يصرخ في فضاء سنوات عِجاف عاشتها مع ذلك الرجل..

لم تُثمِر إلا طفلاً وطفلة.. كانا سببًا لتعيش معه وتتحمل تنافر روحيهما .

لا... لن يكون هناكَ يوم آخر بعد الآن يجمعها به .

في الصباح وبعد خروجه إلى العمل.

ارتدت ملابسها.. ولملمت أوراقها وكتبها.

أيقظت أطفالها وجمعت حاجياتهم .

قررت أن يكون هذا الظلام الذي عاشته هو أول شعاع ينير حياتها في سماء الكتابة خارج هذا السجن .

وتمزيق هذا الصك الذي قيدها لسنوات.

وقد لمع برأسها قرار آخر أن تسمي أولى رواياتها "قسمة ونصيب"

❊ ❊ ❊

obeikan.com

رسول الإبداع

أمام المرآة توقف طويلاً وهمّ بالابتعاد وعاد لينظر فيها.. كرر ذلك الفعل عدة مرات.. وفي الأخيرة أطال النظر وبدأ الحديث مع ذاك المبدع الواقف هناك خلفها..

-تستحق يا واد يا محمود أن تكون رسول الإبداع وملك القوافي وأمير الحرف وسيد الكلمات . كل الألقاب اللي بيقولها لك أصدقاء الفيس بوك..

كان يسخر في البداية منهم، ثم بدأ يُصدق هذه الألقاب، واقتنع فعلا أنه شاعر وأديب.

محمود طالب الثانوي الفني ..

obeikan.com

يجلس هو وزملاؤه في المدرسة بدون مدرس.. لوجود عجز في المدرسين فتقوم بينهم شجارات وتؤذيه سخافات بعض الطلبة لكونه هادئ الطباع لا يبرح مكانه مهما حدث.. يجلس فيُمسِك بقلمه ويحفر قلوبًا وورودًا وحروفًا في خشب المقعد.

وفي بعض الأوقات يكتب كلمات يعتقد أنها شعر لكونها جمل تنتهي بنفس الحرف.

طلب منه زملاؤه أن يذهب معهم إلى (السايبر) ويتمتع معهم بمشاهدة أفلام (الأكشن) التي يحبها.

وقف أطولهم محاذيا لسور المدرسة وانحنى الآخر والثالث أمسك بيديه ليساعده في اعتلاء ظهر الثاني الذي تصاعد واقفا لكي يوصله لأكتاف الأول ليمسك بأقدامه ويضعها على السور وفي الجهة الأخرى من السور يقف من تلقفه وأخيرًا نجحت محاولة الهروب الأولى فهو لا يعرف كيفية (نط السور).

شاهد معهم أفلام لا يسمح له أهله بمشاهدتها.. أطلقوا عليها أفلام ثقافية.

ولأن..(قليل البخت يلاقي العضم في الكرشة).

قابل أخاه الأكبر أثناء خروجه.

-محمود.. بتعمل إيه هنا؟ وسايب المدرسة ليه؟

-ماهي المدرسة مش بناخد فيها حاجة وبزهق.

-حتى لو كدا ما تهربش.

عاتبه أخوه وطلب منه أن لا يكرر هروبه مرة أخرى.. ووعده بأن يهديه هاتفًا يستطيع أن يشاهد من خلاله كل ما يريد من أفلام محترمة.

فعل كل ما يستطيع في الامتحانات النهائية، تناول كل أنواع المساعدات المتاحة وحصل على شهادة المرحلة الثانوية الفنية (الدبلوم).

أصبح أهلا للهدية التي وعده بها أخوه، قام بتنزيل البرامج والألعاب وكل ما يلزم الدخول إلى العالم الافتراضي.

وعلى صفحات الفيس بوك بدأ رحلته إلى عالم (الإبداع)

فهذا الفضاء الرحب للعالم الافتراضي. مليء بالأشعار والأعمال الأدبية. والأعمال التي يظنها أصحابها هكذا..

وطالما هذا العالم مفتوح والمنشورات متاحة للجميع، فالمال السايب يعلم السرقة .(ولكن هنا يتغير اسم السرقة إلى اقتباس).

بدأ بنشر اقتباساته في المجموعات الأدبية .

أحيانا ينقل نصًا كما هو بأخطائه الإملائية واللغوية وأحيانا يضيف وحينا آخر يحذف منها بعض الكلمات.

وكانت هذه السرقات تنال الإعجاب وكانت التعليقات بالصورة التي تجعل منه أسطورة في عالم الكتابة..

وكأن النابغة الذبياني وامرؤ القيس بعثا من جديد وبأناملهِ يكتبان.

فرغ من حديث المرآة.

أخذ كارت(الميموري) الذي يحفظ فيه الأشعار المسروقة وذهب لعرضها على دار نشر ليطبع ديوانه الأول..

ضحك الناشر عند قراءة أول قصيدة.

-إيه دا يا بني اللي مكتوب.

-شعر.

-لا يا بني لاهو شعر ولا غيره.. ولا يمكن أنشره

-دا أنا بنشره على الفيسبوك وبياخد إعجابات كتير.

-خلاص انشره هناك

-بس أنا عاوز أكون كاتب مشهور ولازم يكون لي ديوان.

-يا ابني قلت لك إن دا مش شعر لكن انت مش راضي تصدق..

مفيش حد ينشر كلام زي دا..

خرج محمود من دار النشر إلى غيرها وغيرها والكل له نفس الرأي.

لم يصدق ما قاله الناشرون .

سأل نفسه ...

لماذا أريد ديوانًا طالما المسألة بهذه الصعوبة؟.

سأصنع صفحة خاصة بي على الفيس بوك أنشر فيها أشعاري.

ستملأ حروفي هذا الفضاء الافتراضي.

وسيشاركها الآلاف..

أنا ملك الحرف وسيد الكلمات.. رسول الإبداع

❊ ❊ ❊

obeikan.com

ما.. عاش

لملمت أصابعها ستار الليل الثقيل، أشاحته لتسمح لأشعة الشمس الذهبية التي تنقر زجاج النافذة بالدخول، فتملأ جدران غرفته نورًا .. وراح كفها الرقيق يربت على كتفه وهمس صوتها يتسرب من أذنه إلى رأسه فيغزل حلمًا صغيرًا.. يراها تقف على شاطئ البحر تناديه وقد اختفى الشعر الأبيض من مفرقها، فيخرج شاب يشبهه من بين الأمواج ملوحًا لها بيديه هاتفا باسمها، يستيقظ وهو يردد اسمها ..

يحاول إقناع جفونه أن تفترق عن بعضها، مبتسما يخبرها بحلمه، تعلو ضحكتها

obeikan.com

- بحر الوظيفة اللي كنت غرقان فيه يا حبيبي وسايبني هو دا اللي خرجت منه .

- تفتكري هوا كدا؟ طيب وليه صغرنا ورجعنا تاني شباب .

قالت وابتسامتها مستقرة على شفتيها :

- لإننا واحنا صغيرين ما عشناش شبابنا... عوضته في الحلم..

إنه أول يوم في عمره الجديد بدون عمل.. (المعاش).

هكذا أطلقوا عليه.. سن المعاش.. ولكن.. كيف سيعيش بدون عمل..

فكّر في الأمر كثيرا طوال عام مضى، ولكن تفكيره الطويل لم يُنبِت برعمًا يمكن أن يكون له ثمرة تُشبِع أو تسمِن جوع أيامه القادمة للعمل .

ها هو وحده وزوجته في بيتهما، هذا البيت الذي عاش فيه كل عمره مع أبويه وإخوته.. ولم يتركه بالزواج ليتولى رعايتهما كونه الابن الأكبر ..

وشهِد ثلاثين عامًا هي عمر زواجهما..

وربى معهما ابنهما الذي ورث ملامحه، وبنتين تشبهان أمهما كثيرًا في شكلها.

حـدث هـذا بفعـل الجينـات الوراثيـة، وبفعـل الـزمن وتغيراتـه كـان الأبنـاء أبعد مـا يكونـون عـن التشـابه مـع الوالدين.

قاطعت شروده قائلة:

-تحب تتغدى إيه النهاردة .

-الأولاد ..

لم تستطِع كبح جماح ضحكة عالية لم يعتدها منهـا، فهـي محافظة لأبعد حدود .

اعتذرت عن الضحكة.. وأردفت:

-عاوز تاكل الأولاد؟

-عاوز أشوفهم.. اتصلي بيهم ييجوا بأولادهم..

في المغيب حضروا جميعًا ..

لوحت له دمعاتها.. ورأتـه كأنـه يقف بين الموج ملوحًـا بالوداع .

تلاشى مشهده شيئًا فشيئًا..

ولازالت دمعاتها تلوح للموج حتى حل عليها المساء.

❊ ❊ ❊

obeikan.com

بلا هدف

على رصيف قطار تساند خيبتها حقيبة منتفخة بما فيها من أغراض وكأنها حملت فيها مع أغراضها كل آلامها وأحزانها ولم تترك خلفها أي شيء، وقفت تربط ذراعيها على صدرها وكأنها تحتضن روحها المعذبة التي عانت الكثير من القسوة وأصبحت في حاجة لأحضان حبيب تزيل عنها بعض آلامها فلم تجد لروحها محبًا غير روحها فقد خذلها كل من أحبت، نظرت على يمينها فوجدت مقهى المحطة فجرجرت مع حقيبتها كل الخيبات والخذلان وراءها واتجهت إليها ربما تريح قدميها المتعبتين فقد سارت عليهما لمدة طويلة بلا وجهة وبدون هدف تقريبًا، ليلة بطولها تسير على قدميها حتى وجدت محطة القطار أمامها فدخلتها أيضا بلا هدف. هكذا هي دومًا بلا هدف تسير أو تسير بها الأقدار وتستسلم لها، دومًا توجهها كيف تشاء .

obeikan.com

وجدت المقهى مكتظًا بالمسافرين وأخذت تجول بعينيها تبحث عن مقعد حتى فاجأها نادل المقهى يأخذ من يدها حقيبتها ويشير إلى طاولة في ركن هادئ بعيدًا عن الصخب والضجيج المنتشر في المكان، وكأن القدر أراد أن يبلغها أنه وإن كان قسا عليها فإنه أيضا يترفق بها في حالتها هذه وسيمنحها بعض الهدوء الذي تحتاجه.
تركت له الحقيبة وتبعته إلى حيث أشار.
جلست ووضعت حقيبة يدها على الطاولة وجففت وجهها من آثار دمعات فرت من أسر جفنيها اللذين حاولا الإطباق عليها وحبسها داخل عينيها .

النادل : هنا المكان هادي وقريب من التكييف تحبي تشربي حاجة باردة .

مليكة : لا من فضلك قهوة دبل مظبوط

النادل : تحت أمرك

انصرف النادل وجلست مليكة تنظر من نافذة المقهى فوجدت قطارًا يغادر الرصيف وأخذت تتابعه وكأن كل عربة من عرباته المغادرة هي فصل من فصول حكاية عمرها يمر أمامها بكل تفاصيله، ولكن قطارها كان يسير بالعكس من النهاية إلى البداية .

أخذت في جمع أغراضها في حقيبتها بين صراخ والدتها ولوم اخوتها وبكاء ولديها وهي في صمتها غارقة في دموعها لا تتوقف عن جمع أغراضها ومحاولة لتهدئة طفليها .

قاطعها النادل وهي معلقة عينيها بالقطار.

النادل : القهوة حضرتك .

-انت عندك فكرة أول قطر هيقوم إمتى ورايح فين؟

-آه طبعا أنا حافظ كل المواعيد

أول قطر هيقوم بعد ساعة ورايح اسكندرية

-طيب شكرا بس ياريت تنبهني أول ما ييجي .

جلست تستعرض عربات قطارها الفائت، وتوقفت عند تلك التي التقت فيها بأول حب جعلها تشعر بذلك العضو الساكن بين حنايا صدرها، حين سمعت لأول مرة دقاته تتزايد لتعلن عن وجوده في أول لقاء لها به في منزل صديقتها منى، حين دخل الصالون فوجدها تنتظر أخته التي ذهبت لإحضار واجب الضيافة .

-انتِ صاحبة منى .

أجابته بخجل أشعل نيران وجنتيها فزاد وردهما احمرارًا:

- أيوة.

- واسمك إيه يا قطة .

تحولت نيران الخجل إلى غضب أطل من عينيها .

- إيه قطة دي شايفني عيلة .

-طبعاً مش انت في عمر منى أختي الصغيرة .

- حتى لو كدا أنا ومنى آنسات في الجامعة يعني مش عيال صغيرة .

تعالت ضحكات السخرية منه أثناء خروجه من الغرفة في حين حضرت منى لتقدم العصير لها .

- تعالي يا كبيرة لصحبتك .

- أخوكي دا باين عليه مغرور .

- هو كدا دايما يكسفني مع صاحباتي.. ماتزعليش هو أصلا ما يعرفش يقدر البنات المحترمة .

أظهرت غضبها وأخفت سعادتها بلقاء الرجل الذي طالما تمنته .

كان شباب العائلة والجيران وكل من يراها يظهر إعجابه بجمالها الهاديء البريء .

هو أول شخص لم يلفته جمالها ولكنه خطف قلبها من أول نظرة .

كان هذا أمرها.. أما هو فقد لفته جمالها ولكونه شابًا ذا خبرة أخفى إعجابه بها

تابعها فور خروجها من منزله كما كان يفعل دائمًا مع كل زائرة تزور أخته ليطمئن لأخلاقها. توالت زياراتها وهكذا متابعته، وتأكد من حسن سيرها وخلقها .

وفي يوم فاجأتها منى بالزيارة لتطلب موعدًا لحضور أسرتها لخطبتها لأخيها ..

كادت من الفرحة أن تبدي بحبها، ولكنها أطرقت إلى الأرض تستودعها سرها .

- مليكة أنا هقولك حاجة عن أخويا علشان أكون صريحة وانت حرة.

-ماله أخوكي قلقتيني .

- لا ما تقلقيش دي حاجة بسيطة هو عيب فيه لو عرفتيه من دلوقتي يبقي أحسن علشان تقدري تخلصيه منه، أخويا زي ما بيقولوا مقطع السمكة وديلها.. بيحب البنات .

- طيب لما هو كدا ليه اختارني .

-لأنك بنت مؤدبة غير اللي عرفهم وهو متأكد إنك هتصونيه.

- طيب وهو هيصونني .

- هما دايما بيقولوا إن الراجل اللي بيلف ويدور قبل الجواز بيتهدي بعده يعني مش هيشوف غيرك بعد كدا .

اقتنعت بكلام منى.. أو كذلك أقنعها قلبها كي لا تخسر حبها الأول .

تزوجته وأنجبت منه ولدًا وبنتًا .

ظلت طوال عمر زواجهما الذي تعدى السبع سنوات تظن أنه لا يرى غيرها حتى اكتشفت أنه يومًا لم يترك عادته القديمة ولم يتخلّ عن تقطيع السمكة حتى ذيلها. حين أعطاها هاتفه الذي استبدله بهاتف جديد. وعن طريق الصدفة استمعت إلى تسجيلات قام الهاتف بتسجيلها لمكالماته مع سيدات وفتيات يقيم معهن علاقات عبر الهاتف وفي الواقع .

هنا توقفت دقات قلبها التي كانت تهتف باسمه .

تمكنت من الانفصال عنه والاحتفاظ بأولادها .

ولم تخبر أحدًا بأسباب الانفصال لتحمي أولادها من نظرة أو كلمة تجرحهم فيما بعد .

كان يجب أن يكون لها هدف تسعى إليه.

الآن هدفها تربية أولادها بعيدًا .

سوف تبحث عن عمل وسوف تأتي لتأخذهم.. بعيدًا عن هذا المجتمع.

ستعلم الولد أن الأخلاق تزين الرجل كما تزين المرأة .

وأن انعدامها يعيبه كما يعيبها .

وستعلم ابنتها أن تكون لها ذات وقيمة وأن يكون اعتمادها على ربها وعمل يغنيها وألا تحيا.. بلا هدف.

❊ ❊ ❊

obeikan.com

البخلاء

كان ماهر يسمع كثيرًا عن البخلاء ولم يلتقِ بأحدهم طيلة عمره الذي اقترب من العقد الخامس بقليل. كان يظن أنهم فقط موجودون في القصص والنكات لإضحاك الناس، حتى التقى بأحدهم وعرف أن هناك صفات حين تجتمع معًا تصنع بخيلاً صرفًا .

وأنها حين تتفرق.. تجعل ممن يتصف بها بخيلا مختفيا لا يفطن إليه الناس فلا يصفونه به . فكان ذلك الزميل

obeikan.com

الجديد بمثابة ميكروسكوب أوضح له أن كل من حوله بخلاء .

في عمله كموظف حكومي بإدارة من إدارات شركة الكهرباء كان زوج زميلته السيدة صفاء يعمل بإدارة أخرى بنفس الشركة والذي ترقى إلى منصب سيتم بناءً عليه انتقاله إلى الإدارة التي يعملون بها كانت دائمة الشكوى من قسوته على أولادها وكيف يربيهم بشدة تؤلم قلبها فلا تتحمل ذلك وأيضًا لا تستطيع الانفصال عنه وتُفقد الأبناء حكمة الأب في التربية.

وكان هو والزملاء يواسونها مؤكدين لها أن حب الأب لأولاده وخوفه عليهم يجعله في بعض الأحيان قاسيًا لحكمة ربما هو فقط من يعلمها وأن حنان الأم يجعل قلبها لا يدركها .

حضر الأستاذ جميل إلى عمله، بارك الجميع منصبه الجديد، وبدأ التعامل معهم بصرامة جعلتهم من أول يوم يفقدون الألفة بينهم وبينه، فقط كانت تزور الابتسامة وجهه حين يقدم له ماهر أو أحد الزملاء كوبًا من الشاي أو فنجانًا من القهوة.. وبدأت تظهر عليه أعراض البخل ..

في أول الأمر لم ينتبه لها وكان يعتقد أن الصدفة هي ما تجعله يحضر إلى مكتبه في ميعاد إفطاره كل يوم ..

ولأن ماهر رجل كريم كان يدعوه لمشاركته الطعام فكان يسرع لتلبية الدعوة..

وينصرف بسرعة وبدون أن يخبره بما أتى من أجله ..

ذات مرة بعدما ابتلع آخر لقمة وانتفض مسرعًا بالخروج لحقه ليوقع له على طلب .

سمع ماهر صديقه في المكتب المجاور وقد دخله الأستاذ جميل يقول ضاحكا :

-شايك جاهز زي كل يوم اتفضل .

علم حينها سبب خروجه مسرعا بعد الإفطار كل يوم .

جلس ماهر في مكتبه مستعرضًا يوميات الأستاذ جميل منذ حضوره وكلمات زوجته صفاء عن قسوته.. فظهرت أمامه صفات تجمعت في ذلك الرجل؛ القسوة التي وصفتها لهم زوجته.. الانتهازية التي أوصلته لذلك المنصب الأعلى بدون أن يكون أهلا له. الأنانية وحب الذات الذي يصل حد الغرور الذي يظهر دائما في حديثه عن نفسه وإنجازاته الوهمية التي دائما يحكيها لهم، وأسلوبه المتعجرف عندما يبدي لهم رأيه وكيف يتمسك به ويظهره على أنه الصواب الذي لا مثيل له،

التطفل على أصغر العاملين بالإدارة لينال كوبًا من الشاي دون مقابل، هكذا تكون صفات البخيل، لا ينفق

شيئًا، أي شيء حتى المشاعر لايجود بها حتى على أطفاله ..

نظر ماهر في كل من حوله وتهيأت له تلك الصفات أثوابًا.. فرأى كل من حوله يرتدي ثوبًا منها.. وحين نظر في المرآة.. كانت الصدمة.

فكان ماهر الذي يصفه الجميع أنه أبو الكرم.. يرتدي أحدها ..رأى أمامه زوجته التي تذهب لعملها وتعود لتعمل في المنزل حتى العاشرة مساءً ترتب وتطبخ وتدرس للأولاد في حين أنه يذهب بعد الغداء للقاء أصدقائه ويعود في التاسعة يطالبها بتخفيض صوتها وهي تذاكر للأولاد ليتمكن من نوم هادئ وتأتيه بعد إتمام أعمالها متأنقة متعطرة .

واجه نفسه قائلا.. أنا أبخل البخلاء.

❊ ❊ ❊

حب بلا نهاية

على سرير ناصع البياض رقدت بوجه بشرته تقارب لونها من لونه تُفشي ملامحه عن وجع رشق في كل ذراتها بمخالبه ورأس خلا من كثير من شعر كانت نعومته من أسرار جمالها، يرافقهما جسد أرق من ملاءة تغطيه ورقة صوتها التي لا تستطيع البوح بكلمة تخفف من آلامها. شاردة في أطفالها الخمسة، وكيف كانت كل مرة تحاول أن تمنع فيها الحمل يمنعها شريف زوجها ويقول إنه يريد منها إنجاب فريق ينافس به فريق كرة القدم لشدة حبه لها في فترة زواج دامت عشر سنوات هي عمر أكبر أبنائها .

obeikandl.com

فقد أنجبته بعد مرور تسعة أشهر من ليلة زفافها على أول حب طرق قلبها .

حرّك مقبض باب الغرفة بهدوء ليتسلل داخلها دون أن يؤرق دقائق نومها المعدودة التي تحصل عليها خلسة بين موجات الألم. كانت لازالت في صحوة الوجع فالتفتت إليه مرحبة وارتدت ابتسامة شاحبة لتخفي آلامها كي لاتحزنه، فهي ترى دموعه التي تفر من أسر جفنيه وتشيحها يده بعيدا بخفة كي لا تلحظها ويستبدلها بابتسامة تسري في وريدها مع حقنة الدواء تنعش فيه الأمل عندما تتألم أثناء جلسة العلاج الكيميائي.

أتاه صوتها يصرخ بوهن .

-إيه اللي انت عملته دا، ليه كدا!!؟

أجابها وهو يبتسم ويتحسس رأسه الأصلع .

- ايه مالك مش عاجبك (النيو لوك.)

- طبعا أنت تعجبني بأي شكل، بس أنا عارفة أد إيه شعرك غالي عليك وإزاي كنت بتصرف عليه كريمات وكنت مدلعه .

- يا ستي كفاية عليه مصاريف إحنا أولى بالفلوس، وكمان هو مش أغلى منك يا غالية، بكرة هو وشعرك يرجعوا مع بعض ونبقى نعمل لهم عيد ميلاد .

ضحكت من دعابته ولثمت كفه بشفتيها المرتعشتين، وبادلها بتقبيل كفيها ورأسها ولثمت جبينها معه دمعة ساخنة هربت من قيده مع مشاعره الجياشة .

مسح جبينها وأعاد ابتسامته لوجنتيه وأخرج لها العصير الذي كان أحضره لها وبعض الفاكهة التي كانت تحبها قبل أن يغير المرض والعلاج تذوقها لطعم الحياة .

- الولاد عاملين إيه .

- مرتاحين مع خالتهم وفي انتظارك ترجعي بالسلامة وإن شاء الله هجيبهم لك الزيارة الجاية تكوني قادرة تقابليهم .

- لا ما تجيبهومش هنا. مش عاوزة ذكرى حزينة ليا معاهم عاوزاهم دايما يفتكروني بالفرح واللعب .

- بكرة تخفي وتعملي أحلى الذكريات معاهم يا حبيبتي .

قالها حابسا آلام تذكره لقول الطبيب أن الأمل في شفائها ضعيف .

قاطعتهما الممرضة التي دخلت لتتفقد سير الدواء في شرايينها التي أعياها المرض والعلاج .

خرج ليشرب سيجارة في شرفة المستشفى ومع دخانها المتصاعد كان ينفث ذرات من حزن أطبق على صدره

منذ غادرت نور المنزل بعدما سقطت مغشيا عليها وقرر الطبيب عمل جراحة لإزالة ورم تسلل بخبث فاحتل جزءًا صغيرًا من رحمها فكان لابد من استئصاله وتناول الكيميائي، بالرغم من أن الطبيب أخبره بعدم جدوى العلاج إلا أنه تمسك ببصيص أمل ربما ينقذها ويعيدها إليه مرة أخرى.

دخل عليها فوجدها قد غافلت الألم وأخذت غفوة. جلس بجوارها لحين استيقاظها فهذه الغفلة لا تدوم مدتها، طال انتظاره فقام يتفقدها، وجد وجهها متوردًا مشرقا كما كان قبل مرضها.

أحكم عليها الغطاء، وودعها بنظراته ليذهب للاطمئنان على الأولاد، نزل درجتين من السلم وحين هم بنزول الثالثة سمع صوتها يناديه، عاد مسرعا ليجد الممرضة واقفة بجوار سريرها وقد أزالت عن يدها حقنة الدواء المعلقة، وتغمض عينيها. ألقى بجسده عليها يحتضنها ويستحلفها أن تفيق.. حاول إقناع الممرضة أن تعيد تعليق الدواء مرة أخرى .

فأخبرته أنها كانت تناديه قبل أن تنطق بالشهادة وتغادر الحياة.

❊ ❊ ❊

عروسة ماما

في أحد النوادي الاجتماعية جلس الشاب المتخرج حديثًا من إحدى الكليات المرموقة وحصل بفضل المعارف على عمل ذي راتب كبير مما جعله قادرًا على (فتح بيت). بحثت والدته له عن عروس لإكمال نصف دينه ولينجب لها الأحفاد كي تقر عينها بذريته وأثناء الحديث مع زميلة لها في العمل أثنت على بنت من عائلة محترمة تعرفها ورشحتها لتكون زوجة ابنها الوحيد. بعد أن رفض كثيرًا من الاقتراحات وأغضب أمه بسبب عدم قبوله لهذه الطريقة في الزواج وافق هذه المرة لإرضائها وذهب مع والدته وزميلتها لرؤية العروس المقترحة. انتظروا كثيرًا حتى وصلت أم العروس وبجوارها فتاة رشيقة القوام لافتة الطلة.. تخطف النظر بملامحها الرقيقة.. عبوسها يزيد من جمال قسمات وجهها.

وكـأن الميعـاد صـدفة، أبـدت دهشـتها عنـدما وجـدت الصديقة ومن بصحبتها .

-إيه دا مش ممكن انت هنا يا سعاد .

-أهلا فريدة والله مفاجأة جميلة.

-ياااه بقالنا كتير ما اتقابلناش .

-نهى حبيبة قلبي وحشتيني، إيه الجمال دا انت كل مرة بقابلك ألاقيكي احلويتي زيادة .

تعالت ضحكات الجميع ولا زالت نهى عابسة تحاول فتح شفتيها لاصطناع ابتسامة لترضي أمها بعدما وكزتها .

-اتفضلوا اقعدوا معانا ماحدش غريب .

وبدأت في التعريف .

-حسين ابن أعز صاحباتي جميلة زيك بالظبط يا فريدة.. متخرج من سنتين، مهندس واشتغل في شركة استثمارية كبيرة ومرتبه بالدولار. والقمر دي بقا حبيبتي نهى بكالوريوس (تجارة إنجليش).

تبادل الجميع الترحيب وابتسم حسين للعروس الواجمة فأعادت فصل شفتيها للوكزة الثانية من أمها .

قضى الجميع وقتًا ليس بالقصير وتناولوا أحاديث كثيرة عن مختلف الموضوعات واضطرّت فريدة لإنهاء المقابلة بعد أن تكررت همهمات نهى في أذنها .

-نتقابل قريب إن شاء الله يا مدام فريدة ..

قالتها أم العريس فانشرح صدر فريدة لأن هذه كلمة السر التي تنبئ بأن نهى نالت رضا الحماة المستقبلية .

-إن شاء الله نتقابل على خير .

في الطريق إلى المنزل سألت الأم ابنتها .

-إيه رأيك يا نهى عاوزة أكلم سعاد علشان أقولها ييجوا إمتى البيت .

-يا ماما انت عارفة إني باحب سامح ابن عمي ومش شايفة راجل غيره .

-أهو سامح دا لا يمكن أقبله زوج ليكي . إنت مش عارفة أنا بكره أمه أد إيه .

- طيب أنا وهو ذنبنا إيه في كرهكم لبعض .

- لا ذنب ولا غيره كم عريس رفضتيهم أحسن من سامح الخايب اللي شغال سواق تاكسي وواخد معهد سنتين .

هو دا اللي هتتجوزيه سامح دا مايجيش فيه حاجة، مركز وعيلة وكل حاجة هقول لهم ييجوا يوم الخميس خلاص .

ردت نهى على أمر والدتها بالبكاء الذي لم يحرك في الأم أي تعاطف مع ابنتها.. فهي ترى أن العريس المناسب هو من يملك المؤهل والعمل المرموق والمال الذي يجعل ابنتها ترتاح وتجد ما تريد قبل أن تطلبه .

بعد أن انصرفت فريدة ونهى سألت سعاد جميلة عن رأيها في العروس.

- إيه رأيك يا سعاد؟ أظن مفيش عروسة لا في أدبها ولا في جمالها .

- الشهادة لله مافيهاش عيب جمال واخلاق .

وللا إيه رأيك يا عريس .

- عريس!؟ . استني لما نشوف اتقبلنا في كشف الهيئة ولا لا .

- لا ما تخافش أم العروسة عينيها كانت بترقص من الفرحة يعني مقبول إن شاء الله .

- دا بالنسبة لأم العروسة، طيب والعروسة اللي طول المقابلة مكشرة .

- يعني عاوزها تضحك وتهزر زي البنات الهايفة؟ لا دي حاجة تانية .

تمت الخطبة لمدة قصيرة كانت كافية لتجهيز شقة الزوجية واختيار الموبيليا وكل مستلزمات المنزل العصري الفخم. وأتى موعد الزفاف الذي أقيم في فندق ذي عدة نجوم يخطف بريقها النظر .

وبعد وصول العروسين لمنزلهما وأُغلق عليهم بابه.. ذهبت نهى إلى حجرتها لتبديل ثيابها ..

وقفت أمام المرآة خلعت الطرحة وبدلت ثيابها في حين جلس العريس في الصالون ممددًا رجليه على الكرسي وذهب في نوم عميق .

- حسين... قوم نام في السرير.

- هه حاضر.. معلش يا نهى أصل اليوم كان مرهق وتوضيب الشقة بقالي يومين ما نمتش .

- معلش قوم ارتاح ونام .

- تصبحي على خير .

مر شهران على الزواج وكانت نهى الجميلة كالوردة التي أخذت في الذبول واختفى تورد خديها وتوارت

ابتسامتها وذهب بريق عينيها وسكنهما حزن يشي بحياة غير سعيدة تعيشها مع هذا الزوج .

كانت الأم كلما سألت ابنتها عن حياتها وزواجها ترد الرد الذي لا يروي عطش الأم لمعرفة كل التفاصيل عن حياتها وأدقها، فقط كانت تقول: الحمد لله حسين زوج طيب ..

وفي يوم من الأيام ذهبت لاستطلاع النبأ اليقين في بيت ابنتها وأثناء تبديل نهى ملابسها دخلت الحجرة فرأت جسدها وقد ملأته بقع زرقاء .

- ايه دا يا نهى الزرقان اللي في جسمك .

باستحياء أغلقت ملابسها وأجابت:

- مفيش حاجة عادي يا ماما .

- لا مش عادي وريني .

كشفت عن باقي جسدها ووجدت تناثر البقع الزرقاء والصفراء .

من إيه دا فهميني ..

سكتت وكان البكاء هو الإجابة الشافية ..

- انت مش قاعدة هنا ليلة تانية.. لمي شنطتك ويللا ...

أخذت الأم ابنتها للطبيبة التي أجرت الكشف عليها وأخبرتها بخبر نزل عليها كالصاعقة ..بنتك عذراء .

obeikan.com

- إيـه!؟ دي عروسـة بقالهـا شـهرين طيـب والزرقـان دا إيه؟

- كـان فيـه محـاولات لكـن كلهـا فشـلت ودي طريقـة الزوج العاجز في المحاولة لأنه يعتبر أن الزوجة السبب في فشله علشان ما يعترفش بعدم قدرته.

انتهى الزواج قصير الأجل.. وفازت أم العروس بالشقة والأثـاث والمؤخر بعد مسـاومات منهـا لعدم نشـر خبـر عدم أهليته للزواج .

وخرجـت نهـى مـن زواج اسـتطاع رغـم قصـر مدتـه أن يطفئ بريق الحياة في عينيها، محطمة القلب .

وأعـادت سـعاد الكـرة فـي البحـث لابـن صـديقتها عـن عروس جديدة بدلا من تلك التي لم تسعده وكانت بـاردة العواطف كما أخبروها عن سبب الانفصال.

❊ ❊ ❊

لا يُنسى..

جلس غير بعيد من طاولتها التي اختارتها قريبة من تلك الشجرة المحفور عليها قلب رُشق فيه سهم يشير من اتجاهيه إلى حرفين لم ينل الزمن من مكانهما وشكلهما، وكأن هناك من يتعهدهما بالرعاية ويتولى إعادتهما إلى مكانهما عندما تحاول عوامل الزمن الإغارة عليهما لتُقصيهما أو تعمل على دفنهما داخل جزع الشجرة.

هي المرة الأولى التي يراها هنا، ولكن يبدو عليها أنها قد أتت لهذا المكان عدة مرات من قبل، أطال النظر إليها.. إنها هي.. لم يكن اختيارها للطاولة من قبيل الصدفة، الكاكاو باللبن دليل عليها، وأيضا دليل أنها مازالت تذكره، يبدو أن هؤلاء أبناؤها وأحفادها.

كانت كلما ألتقت عيناهما فابتسم لها وابتسمت له، ظن أنها تتذكره، حاول أن يحدثها ولكنها كانت سريعا ما تلتفت مرة أخرى في الاتجاه الآخر، أعاد الكرة مرات ومرات وهي تفعل نفس الشيء، علم بعدها أنها لا تتذكره.

جاءه صوت النادل:

-تحب تشرب إيه حضرتك.

-هات لي كاكاو باللبن..

كان مشروبهما المفضل معًا وكانا يشربانه هنا بجوار هذه الشجرة، قبل أن يفرقهما النصيب وتتزوج من ابن عمها بعد رفض والدها له عندما ذهب لخطبتها بعد إنهائه دراسته، وأخبره أنها مخطوبة لابن عمها الذي سافر للعمل في الخليج وقام بتجهيز منزل على أفخم طراز ليناسب مستواها الاجتماعي.

أغلق على حزنه باب قلبه وتمنى لها حياة سعيدة، حاولت بعدها كثيرًا أن تتصل به ولكنه آثر الابتعاد ليتركها تحيا في سلام حياة ليس فيها تعب، فقد كان لا يزال في أول الطريق.

بحث في الغربة عن ملاذٍ آمن لقلبه بعيدًا عن ذكرياته، فيه أيضًا وسيلة للرزق، عاد منها متزوجا من زوجة

غربيـة، رزق منهـا بولـدين آثـرا البقـاء فـي الغربـة عـن العودة معه للوطن.

كـان يوميـا يحضـر ليـرى كنزهمـا المنقوش علـى جـزع الشجرة.

جاءه صوتها تناديه باسمه، حملته الفرحه دون أن يدري وجد نفسه في حضن عينيها يلبي نداءها.

وقف خجلا من تصرفه فهي لم يبد عليها أنها عرفتـه، اعتـذر لأبنائهـا المحيطـين بـه، وقـدموا لـه اعتـذارهم وأخبروه أن والدتهم مصابة بالزهايمر، ودائما تستدعي أسماء من الماضي فتناديها.

❊ ❊ ❊

حكاية جرح

في عيد النصر وكمثل كل عام، جلس جدي يسرد لنا حكاياته في البطولة.. أسمعها منذ وعيت.. وفي كل مرة أستمع إلى آخر الحكاية وكأنه يرويها لأول مرة.

-خضت كل الحروب التي واجهتها بلادي منذ أهَل شبابي.. نحن جيل ولدت معه الحروب.. كنا رجالا لا نخشى إلا الله.. ولا نحب سوى تراب الوطن.. هُزمنا ودَحرنا أعداءنا.. عشنا فيها الويلات وجنينا فرحة النصر.

رسمت خريطة حب الوطن على جسدي.. بجراح مثخنات، كل ندبة تحكي فصلا من قصة عشقي .

obeikan.com

أهديت وطني إحدى ساقيّ.. وكنت أتمنى لو أنني أهديتها حياتي.

لأول مرة أنتبه لذلك الجرح الذي تحتضنه أصابع جدي..

-الجرح دا من إيه يا جدي.

نظر إليه ففرت دمعة سقطت تقبل الجرح.

-دا هدية من جيش العدو لما كنت أسير.

-إيه دا إزاي هدية يا جدو هو الجرح هدية.

-طبعا يا حبيبي كل نقطة دم فدا بلدي وكل جرح شرف. وفخر.

في حرب ٥٦ كنت في الأسر ١٥ يومًا في العريش، وتمكنت من الهرب مع ٦ من زمايلي، قبل ترحيلنا "لتل أبيب". وكان الإسرائيليون يصرفون رغيفًا لكل ١٢ أسيرا وكوب ماء فقط لكل أسير يوميًا، وكان الإسرائيليون ينقلون الأسرى المصريين لتل أبيب ولم يتبق إلا ٧ أسرى فقط كنت من بينهم، وطلب مننا الإسرائيليون مساعدتهم لتشغيل إحدى السيارات بدفعها فاستجبنا لهم وبمجرد دفعها هربنا لداخل مستشفى العريش، ومنه لأحد الجبال هناك الجرح دا اتجرحته وقتها.

استمرت رحلة العودة من العريش لمصر ٧ أيام كاملة ننام بالليل، ونغطى جسمنا بالرمال لشدة البرودة ونغطى وجهنا بسترة، وكنا نسير بالنهار بجوار شريط القطار ولم نذق الطعام لمدة ٧ أيام ولا نشرب إلا المياه من الأبيار التى كانت تُحفر بجوار السكك الحديدية ونختبئ فى الجبال ليلاً حتى وصلنا إلى القنطرة شرق، وعند نقطة المرور سلمنا أنفسنا للحرس وتوجهنا للقناة ومنها استقلينا القطار وتوجهنا لمستشفى حلوان.

وأقسمنا يومها إننا هنرجع تاني وناخد تار كل نقطة دم نزلت على أرضها من شهيد أو مصاب، ورجعنا في أكتوبر ١٩٧٣ ليحقق الجيش المصري بطولات وأخدنا بتار الشهيد البطل أحمد عبد العزيز اللي استشهد على أرض فلسطين وكل الشهداء اللي صنع أخواتهم ملحمة بطولية رائعة سطرها الجيش والشعب المصري العظيم .

وأعظم شيء إننا ما بننساش تارنا مهما مر الزمن.

❊ ❊ ❊

آتٍ من الماضي

كاد اليوم أن ينتهي، فمالت الشمس نحو الغياب، تضرب نورها بسياط من حرها فتسوقه إلى مكان آخر، ويتبعها الشفق الدامي باكيًا، يستحلفها البقاء، فلا ترد له جوابًا، لتُخرج العتمة من جوفها تاركة الليل يعيث ظلامًا.

وها أنا قد أكل النهار من ليل رأسي، فعاث البياض لعبًا بشرقها وغربها، يسير بي العمر إلى غروب ليقضي أمرًا كان مفعولاً، سمائي بلا ليل أو قمر، وليس لديّ ما ينير دربي، فقد انطفأت جذوة شموعي ووهنت قوتي، أعيش ظلام الغروب بعقل ذي ذاكرة تراثية لا أذكر سوى الماضي ولا أعيش إلا فيه، يتبعهما الوسواس فيعتريني الحذر من كل شيء، أخاف ممن يقولون إنهم الأقرب إليّ.

مررت قبل قليل بمقبرة لم أخف كما كنت أفعل، لم أشعر بالأشباح التي كانت تعشش في القصص التي عاشت فيها طفولتي، لم أتخيل الموتى يخرجون من أجداثهم ملتفين بالأكفان، تابعت السير منشرحًا، أحس بألفة بيني وبين سكانها، سمعت حديثا يدور بيننا، كان حديثًا صامتًا، أو ربما كان صدى لصوت حديث تم منذ سنوات معهم، فعاد من الماضي ليتردد في فضاء ذاكرتي الخالية .

سمعته ينهرني بشدة وينهاني عن الخروج من المنزل مع صديقي المقرب ويخبرني بأنه سيكون سببًا في ضياع مستقبلي وسيغضب عليّ إن لم أفعل، سمعتني أرد "لن أفعل" ولن أستمع، رأيته ممددًا أمامي وأنا أبكي أستسمحه وأطلب مغفرته ورضاه، سامحني يا أبي إني وجدت وعدك حقًا وقد خانني صديقي بعدما جعلني أوافق على شراكته لي في مشروع أنفقت عليه كل ما أملك وكان سببًا في إفلاسي.

لم يمض وقت كثير حتى توقف حديثنا، ثم رأيت ظلي يسير بصحبة صديقي قادمين إلى المقبرة يحدثانني، اقتربا مني فقال لي الظل: ها أنت تعود إلى نفس المكان

كـل يـوم، ألا تريحنـا مـن أفعالـك أو تشـفى مـن هـذا المرض.

فنهرت ظلي، وقلت:

-لِمَ عُدت إلـى صـديق السوء؟ أمـا كفـاك مـا كـان منـه؟ أتريد أن تعُقّ أبي مرة أخرى؟

❊ ❊ ❊

obeikan.com

حب افتراضي

كان يومًا مرهقًا من أيام العمل في العيادة النفسية، هذا هو آخر فحص في هذا اليوم، رننتُ الجرس للممرضة لتسمح لآخر مريض بالدخول.

دخلت مريضتي وعيناها مغرورقتان بدمع أظنه رافقهما منذ زمن حتى صار جزءًا منهما وصنع لنفسه تحت الجفن وسادة سوداء يغفو عليها من حين لآخر.

حاولَتْ إخفاء قتامة الحزن البادي على وجهها، فأنارته بابتسامة خافتة كاد الدمع يطفئ وهجها الخجول، فلاحقته بلمسة من يدها تستحلفه أن يعود أدراجه إلى ما خلف الجفون.

obeikan.com

سارعتُ باستقبالها بترحاب لأنهي حديث الحزن الدائر بينهما، التقطت بلمحة عين اسمها المكتوب في القائمة التي قدمتها لي معاونتي.

- أهلا بك آنسة وفاء اتفضلي.

- أتفضل هنا على الكرسي وللا (الشيزلونج).

- أي مكان تحسي إنه مريح.

لم تفكر كثيرًا وكأنها جاءت فقط لتنام على (الشيزلونج). كما تشاهد في الأفلام السينمائية.

- هانام هنا.

- تمام زي ما تحبي.. اتفضلي قولي لي مالك.

- أبدأ منين؟

- ابدأي من السبب اللي دفعك إنك تيجي هنا.

أغمضت عينيها كأنها تحتضن بهما خيالا مر من أمامها تخاف ألا يعود، ثم فتحتها بدموع فضحت لهفة قلب وحيرة روح، التمعت عيناها وزفرت وجعًا كاد أن يشق رئتيها، حاولت إخراج الكلمات من بين شفاهٍ تكتم سرًا ربما إن باحت به يباح دمها.

شقت عصيان شفتيها ابتسامة وكأن صلحًا تم بينهما واتفاقًا على إطلاق سراح هذا السر لترتاح مهما كانت النتيجة.

شجعتها بابتسامة وأخبرتها أن ما ستقوله لن يخرج من باب الغرفة ولن يطّلع عليه أحد.. لأنني قد أقسمت على ذلك لكي أكون طبيبة.

هزت رأسها مع ابتسامة ذابلة تشي بسنوات عجاف لم تستطع فيها أن تنطق بهذا السر لمخلوق.

قرأتها ككتاب مفتوح، هي قصة عشق سأختتم ليلتي بها.

هزت كتفيها بعجز وأسف وبدأت في حديثها.

-أبلغ من العمر سبعةً وعشرين عامًا.. آنسة لم أتزوج. تقدم لي الكثير من الشباب، ولكن حالتي الصحية تمنعني من الزواج فأنا مريضة قلب.

وتعرفين أن هناك ممنوعات بعدد شعر رأسي بسبب ذلك.. مُنعت وأنا طفلة من اللعب مع الأطفال. ثم مُنعت وأنا شابة من الحياة الطبيعية كزوجة وأم، وبين هذا وذاك كثير جدًا من الحكايا.

ولكن قلبي المريض لم أستطع منع نبضه من الحب، نعم إنني أحب.

منحني ذاك العالم الافتراضي حياة افتراضية كانت عوضًا عن تلك التي لم أستطع أن أحياها في الواقع.

ماتت أمي قبل أن تكمل الثلاثين من عمرها بنفس مرضي، تركتني وأخوين يصغرانني وأخًا يكبرني بعامين مات هو الآخر في نفس عمرها، وأنتظر

موعدي لألقاهما، كلما نظرت إلى عقارب الساعة أراها تنهش من أيام عمري لتنهيه.

تزوج أخواي الصغيران وأنجب كل منهما طفلاً وطفلة، هم أولادي الذين لم أنجبهم، منحتهم كل الأمومة التي يكتمها قلبي المريض.

بدأت الدموع تعود لوجنتيها كقطرات ندى أنهكها الصبر، واسترسلت في الحديث دون أن تردها وكأنها تريد إخراج كل مخزون الدموع الحبيسة خلف جفونها منذ زمن. لتزيح قناع الجمود الذي أسكن وجنتيها الشابتين تجاعيد لامرأة في الستين من عمرها .

- أعمل في مجال السياحة وأراسل شركات سياحية من كل بلدان العالم لعرض البرامج السياحية عليهم، وتعرفت على شاب أتعامل مع شركته، أهداني العالم الافتراضي حبيبًا، لا يطالبني بما يطلبه أحباب العالم الحقيقي، فقط يهديني الحب، فكان كل يوم يهديني باقة ورد و ليلا لاينام قبل أن يسمع صوتي. في البداية كنت أضحك ولا أبالي بما يفعل.. لكن بعد وقت استيقظت الأنثى التي نامت ليالٍ طوالاً في انتظار قبلة الأمير لتعيدها للحياة.

كان مختلفًا عن كل من تعاملت معهم وحاولوا بناء علاقات عاطفية معي وكنت أرفض لجرأتهم وتبجحهم.

ضعفت لأنه الوحيد الذي اتملك القدرة على احتوائي، رومانسيته، اهتمامه، أحبني بكل جوارحه، كعاشق لحد الجنون.

صمتت لبرهة استنشقت فيها نسمة ربما كانت تحمل في طياتها عبيرًا لذكرى طافت أمام عينيها، واستكملت حديثها في نشوة مع ابتسامة أزاحت تجاعيد الحزن التي استوطنت وجهها. فعادت فتاة في الرابعة عشرة من عمرها.

-كان ممكن يصحيني في عز الليل علشان يقوللي وحشتيني وبس.

صمتت ليعود قناع الحزن يثقل روحها المتعبة.

طال صمتها فنزعت ستائره السوداء بكلماتي الحازمة.

وإيه اللي بعد الحب والجنون.

أجابت بانكسار لروحها التي تريد أن تمسك بتلابيب خيال يفر هاربًا عبر فضاء لا تمتد إليه يداها تتوسله البقاء.

-بعد الحب مافيش غير الحب ومش عاوزة غيره، أملي الوحيد إنه يفضل يحبني لحد ما أموت وبس.

-ما أظنش إنك جيتي ليا علشان أقول لك إزاي تحتفظي بحبه.

أغلقت الجفون على حنين وألم وفتحت شفتيها لتطلق منها أكبر قذيفة من قنابل سرها.

-هو ليس من ديني.

لم أتفاجأ كما ظنت مريضتي الرقيقة.. فهذا أمر طبيعي في العالم غير الطبيعي.

-توقعت دا.. ها.. كمّلي.

-أكمل إيه يا دكتورة.

-فين مشكلتك.

استغنت عن نومتها المريحة، وقامت معتدلة تنظر إليّ باستغراب وتمسح دموعها التي فاضت على ضفاف وجهها.

-باقول لك مش من ديني، أنا مش بنام.

-أنا سمعتك كويس.. وفاهماكي .

أنت ضميرك هو اللي تاعبك لأنه مش من دينك، بس تعالي نتكلم بعقل واعي، العلاقة أصلا مش موجودة.

-يعني إيه مش موجودة.

-هي علاقة افتراضية يعني خيال أو حلم ..

أنت ممتلئة بالحب، تفيض روحك عشقًا، ولما بيضيق المجرى بماء النهر بيعمل تفريعة تحتوي الفائض منه.

obeikan.com

لكن لو لقينا مخرج تاني للفائض دا بإننا نزرع على جوانب النهر حديقة مش هنحتاج للتفريعة.

كونه من دينك أو لأ دا شيء مش مهم لأنه مش حقيقي ولأن الغرض من العلاقة أصلا ماكانش الزواج.. هنعتبر اللي حصل كأنه حلم ولازم نفوق منه لأنه لابد هينتهي زي أي حلم.. ممكن نتألم بعد ما نفوق من أثر الحلم لكن هيزول الألم مع الوقت.

-تقصدي إني أبعد عنه..

-هو مين؟ دا وهم افتراضي. عيشي الواقع، فرغي كل حبك في أولاد إخواتك.. وكل اللي حواليكي.. سيبي موضوع الحياة والموت لربنا هو العالم بموعده وسببه.. قلتي لي إن والدتك اتوفت بعدما أنجبت ثلاث أولاد وبنت زي القمر اللي هي أنت.. عيشي زيها، اتجوزي وخلفي وعمرك مكتوب بالساعة مش هينقصه المرض. ولا هيطوله عدم الزواج.. عارفة إن كلامي مش كلام أطباء زي اللي قابلتيهم.. بس كلامي هو كلام الواقع والحياة.. مش افتراضي.

استمعت إلى كلامي لآخره باستغراب ولمعت عيناها بابتسامة.. ودّعتني وخرجت ولم تخبرني بما تنوي أن تفعله.

❊ ❊ ❊

قمري

يقف وابتسامته تملأ وجهه في سعادة غامرة وكلهم يحيطون به يلمعون في بهجة تشرح النفس، الليلة هي ليلة تمامه بدرًا، عندما أراه يذكرني بأمي، ليس فقط لأنها كانت جميلة كالقمر، ولكن لأنها كانت دومًا تناديني" قمري أنا "، حتى بعدما كبرت وصرت شابة كانت تغنيها لي وتهدهدني بها عندما أكون مريضة لأنام، جلست بجوار نافذتي أرمقه وكأنني أرى وجهها يطل معه من العالم الآخر ليطمئن عليّ، وأرى في ابتسامته نور ابتسامتها، كنا معا نتبادل الأدوار، أحيانا أكون أمها وهي ابنتي.. وبالأحرى طفلتي .

obeikandl.com

أدللها وتدللني مما كان يثير غيرة إخوتي، لأنهم كانوا يعتقدون أنني أتصنع الحب أو كما كانوا يقولون "مزوّداها قوي"

كنت أعذرهم، فهم أحبوها كأم ولكنني أحببتها كأم وكابنة، كنت أحس بمسؤولية تجاهها، كنت ألومها على تضحيتها براحتها من أجلنا، ولكنها ما كانت تعير كلماتي أي اهتمام، حتى في مرضها الأخير، لم تهتم بصحتها ولم تستمع لأوامر الطبيب بالراحة التامة، كانت دائمًا تدعو الله أن تموت قبل أن تشعر بأنها أصبحت ثقلا علينا، وقد استجاب الله دعاءها فهي لم تتم في مرضها شهرًا كاملا.. وكان آخر كلماتها حمدًا لله على تحقيق طلبها.

عظيمة هي الأم، بل هي أعظم شيء في الوجود، هي من تمنح هذا الوجود حياته، لمستها دفء وحنان، مر عام على وفاتها، تقدم لي زوجي قبل وفاتها بأشهر قليلة، ترددت كثيرًا في القبول.. فزواج الصالونات لم يرُقني أبدًا وكنت أهزأ من صديقاتي اللاتي تزوجن بهذه الطريقة، جاءت صديقتها لزيارتنا وكانت ترمقني بنظراتها وتتبادلان الابتسامات كلما مررت بجوارهما ويرتدي حديثهما قناع الصمت، وعندما أبتعد تعودان

للثرثـرة، أنهـت الصـديقة الزيـارة فوجـدت أمـي تـدخل غرفتـي تملأ عينيهـا فرحـة لـم أشـاهدها من قبل إلا يـوم تخرجي من الجامعة .

- قمري أنا

- نعم يا نونتي .

- جالك عريس .

- ودا إيه اللي جابه دلوقتي قولي له مش فاضيين .

- مش باهزر طنط عزة كلمتني عن ابن أختها جاسر

- ولا أنا باهزر .. مش عاوزة عرسان وأنت عارفة إني مش باحب جواز الصالونات .

- طيب يا بنتي شوفيه الأول يمكن يعجبك .

- ويمكـن أنـا مـاعجبش حضـرته يبقـى شـكلي إيـه بقـا وإزاي تحطيني في الوضع دا .

قالت مبتسمة : أنت عجبتيه .

- هو شافني؟

- آه كان في فرح إلهام بنت طنط عزة وهو اللـي قالهـا عليكي..علشان خاطري شوفيه ولو ماعجبكيش بلاش .

كانت تعرف جيدًا أنني لا أستطيع رفض طلب لها مهما كلفني ذلك الأمر .

-حاضر يا نونتي هاشوفه بس علشان خاطرك.

بعد أن انتهت زيارة العريس جلست لتسمع موافقتي، ولكنني كنت مترددة، ولكنها من جعلتني أقبل الزواج منه حيث نبهتني كيف كان يعامل أمه أثناء الزيارة، وأخبرتني بأن من يترفق بأمه هكذا حتما سيكون زوجًا مثاليا..

تزوجنا بعد رحيلها بأشهر قليلة..

بعد شهر من زواجنا وأثناء تحضيري العشاء جاء صوت زوجي يناديني .

فأسرعت إليه....

-إيناس.. تعالي ماما جات معايا

-أهلا يا ماما نورتي بيتك .

- يا حبيبتي منور بيكي.

قامت إلى حجرتها التي جهزناها لها بعد أن تناولنا العشاء.

وفي الصباح بعد أن خرج زوجي لعمله سمعت استغاثتها فهرعت إليها.

وجدتها وقد ابتلت ثيابها والفراش .

- مالك يا ماما

- الحقيني يا إيناس... سامحيني يا بنتي بحكم السن ما قدرتش ألحق نفسي.

- يا حبيبتي ولا يهمك.. ما ياما جاسر عملها عليكي وهو صغير.

كنت أعاملها كأمي وأفعل لها ما كنت سأفعله إن كانت أمي مكانها..

مر على استضافتها أسبوع.. في كل يوم أبدّل الفراش وأبدل ثيابها دون تذمر أو انزعاج، بل كنت أخفف عنها وأضحك وأجعلها تضحك معي ولم يعرف زوجي شيئًا عن ذلك.

ذهبتْ بعدها إلى بيوت إخوة زوجي الثلاثة، وفي كل بيت كانت لا تستمر زيارتها إلا يومًا وليلة بعدها تذهب إلى بيت الآخر.. كان زوجي حزينًا جدًا ولم يخبرني عن سبب حزنه.

مرضت بعدها مرضًا شديدًا انتقلت على أثره للمستشفى الذي مكثت فيه أسبوعًا تحت الرعاية المركزة.. ثم فاضت روحها.

بعد مرور أيام من وفاتها طلب جارها المحامي الذي كانت تأتمنه على أسرارها.. أن يجتمع أبناؤها وزوجاتهم ليقرأ لهم وصيتها.

اجتمعنا وكانت المفاجأة .

قرأ لنا رسالة منها كانت قد أوصته بألا يفتحها إلا بعد وفاتها،

وفي الرسالة شكرت زوجات إخوة زوجي على ضيافتهن لها.. وقالت إن الماء الذي كان على ثيابها والفراش.. وتأففن منه والذي كان سببا في طلبهن من أزواجهن بسرعة مغادرتها لمنازلهن. كان من الزجاجة التي كانت تطلبها قبل أن تنام . لتبلل بها الفراش وكانت كاشفة لما في نفوسهن لها.

وذكرتني وكانت أول مرة يعرف فيها زوجي ما كان يحدث طيلة زيارتها لنا.. وعرفت أنا أيضًا سبب حزنه.. أثنت على حسن معاملتي لها، وقالت إن ذلك الاختبار قد عرفها أنني ابنتها التي لم تنجبها.

وأن مجوهراتها التي في حوزة المحامي لي وحدي.

وفي آخر الرسالة قالت إن جزاء الإحسان لا يكون إلا إحسانًا..

بكيــت وأنــا أســتلم المجــوهرات مــن المحــامي .. وقلت نعم، جزاء الإحسان إحسان.. وسوف أجعل ثمن هذه المجوهرات صدقة جارية ثوابها لكِ ولأمي..

قسمت ثمنها إلى ثلاثة أجزاء، الأول ساهمت به في بناء مسجد، والثاني لمستشفى أطفال، والأخير دفعته اليوم فكان من نصيب دار إيواء العجزة من النساء.

ها أنا يا قمري فعلت ما في استطاعتي لبِرهن.. فهل جازيتهن ؟!!

❊ ❊ ❊

obeikan.com

لحن الموت

لم أحترف الكتابة ولكنها هوايتي التي أعشق، لم تكن طارئة على حياتي، ولكن الظروف أقامت بيننا جدارًا، وفي لحظة فارقة قررت العودة إليها وتحطيم هذا الجدار، رأيت نفسي، مثل الصقر الذي اقترب عمره من الأربعين وعليه أن يختار إما أن ينهي حياته وإما أن يقاوم ليُطِيل بقاءه إلى السبعين، هذا قرار حياة أو موت بالنسبة للصقر وكذلك لي، عندما يصل الصقر إلى سن الأربعين تفقد أظافره مرونتها وتعجز عن الإمساك بالفريسة، ويصبح منقاره القوي الحاد معقوفًا شديد الانحناء بسبب تقدمه في العمر وتصبح أجنحته ثقيلة

obeikandl.com

بسبب ثقل وزن ريشها وتلتصق بالصدر فيكون الطيران في غاية الصعوبة بالنسبة له.

هذه الظروف تجعل الصقر يقوم بعملية تغيير مؤلمة جداااااااا خلال (١٥٠ يومًا) تتطلب العملية أن يقوم الصقر بالتحليق إلى قمة الجبل حيث يكون عشه هناك، أولاً يقوم الصقر بضرب منقاره المعقوف بشدة على الصخرة حتى ينكسر، ثم عندما يُتم العملية ينتظر حتى ينمو منقاره ثم يقوم بكسر أظافره، وبعد كسر مخالبه ينتظر حتى تنمو من جديد ثم يقوم بنتف ريشه كله، وبعد هذه المعاناة بخمسة أشهر يقوم الصقر بالتحليق من جديد في السماء وكأنه ولد من جديد ويعيش لمدة (٣٠ سنة أخرى).

في بعض الأحيان يجب علينا تغيير حياتنا حتى نستمر في حال أفضل، وإن كان التغيير صعبًا..

في سن الأربعين أقدمت على تغيير اهتماماتي، قللت من أعمالي كطبيب، وعدت مرة أخرى لهوايتي، لا يهمني أن أكون كاتبًا مشهورًا، أو أن تكون كتاباتي تفوق المائة كتاب، لا تغريني أحاديث الكتاب الكبار عن طقوس يقومون بها ومناخهم الخاص للكتابة، بدونه يتعكر صفو سمائه فلا تلمع فيها أية فكرة، كما يتحدثون في مقابلاتهم (التليفزيونية).

فقط سأطلق سراح بنات أفكاري لتغفو على الورق، فنتحاور ونُنطِق الورق بحديثنا، يمكنني أن أكتب رواية واحدة، ولا أكتب غيرها، ولكن لابد أن ما أكتبه يكون عملا ذا قيمة.

سأكون كطائر الشّوك الغِريد عندما يعلم أن المسافة اقتربت بين موته وتحقق حريته، وأغنيته الأخيرة التي يغنيها في نهاية حياته، عندما يقترب من النهاية المحتومة، بعد اكتمال مهمته فى حياة، فيحلّق عاليًا بين الأشجار باحثًا عن أكثر الأشجار فتكا فينقض عليها بقوة هائلة لتنغرز فى صدره أقوى أشواكها، ويطلق لحظتها صرخته وصيحاته الأجمل مرددًا ترنيمته الفريدة بلحن بالغ الكمال ثم يغرق مع أغنيته فى رحيق دمه وتكتمل الحياة بالغناء وحرية اختيار النهاية.

❊ ❊ ❊

وردة بلا ربيع

في أحضان جدران باردة، تبعثرت روحها، هنا ظلت أيام شبابها حبيسة خلف قضبان من مسئولية تربية بناتها، وإعانة إخوتها الذكور في معيشتهم، أخواتها البنات أيضا كان لهن نصيب من خيطان ذلك الحبل الذي يطوق جيدها، لتُداري عورة الأسرة أمام أزواجهن، كانت تزورهن في الأعياد والمواسم مُحملة بالهدايا مُدعية في كل مرة أن أحد الإخوة أرسلها بها، ولم تنسَ رعاية صديقات عمرها اللواتي كن سببًا مباشرًا في عَقد رِباط مسئولياتها المتعددة.

obeikan.com

هذا ما كان يظنه الجميع، أنهن سبب فك وثاق ميثاقٍ غليظ كان بينها وبين زوج لم تربطهما شعرة من حب، لكثرة أحاديثهن عن أزواجهن ومقارنة زوجها وعمله بهم، وكيف أنه لم (يستّتها) في البيت مثلما فعل أزواجهن وتركها تعمل حتى بعد الزواج، فكان انفصالهما شيئًا سهلا على الطرفين .

تزوجت في عمر زهرة الربيع التي لم تتفتح بعد،

قطفوها ليهدوها لأول رجل تقدم للزواج منها، فقد كانت الأسرة كبيرة وكان لابد أن يتخلصوا سريعًا من كل زهرة تقترب من النضج حتى تترك مساحة لشقيقاتها لكي تظهر في سوق الزواج، بالرغم من أنها رغم صغر سنها تعول الأسرة فقد كانت أجمل بنات العائلة ووجودها يجعل كل الرجال لايرون غيرها، لذلك كان زواجها الحل الأمثل كي لا(تبور) بنات العائلة .

لم تكن رغم أنها العائل الأساسي للأسرة صاحبة حق في القبول أو الرفض.

تزوجته.. ذهبت إلى بيته وتركت في (تكعيبة العنب) المقابلة لبيتها قلبًا أبى أن يصاحبها ويترك من ولِد نبضه

بنظرة من عينيه التي كانت لها جنة تحيا فيها وتهرب إليها من جحيم عالمها المتخم بالأعباء.

أبدًا لم تَبح له بأنه أب لذلك النبض الذي حمله قلبها، هذا الجنين الذي ظل قلبها يحمله عشرات السنين، رغم زواجه بغيرها.. يبكي في بعده فتهدهده وتغني له أغنيات تعِده بلقاء قريب، وحين يقترب منها ينتفض ليحتضن عطره، فتُمسك به كي لا يفشي سرًا تخفيه عن الجميع.. لم تحتمل أن تعيش بعيدًا عن تلك التكعيبة أكثر من ثلاثة أعوام هي عمر ذلك الزواج، فآثرت الانفصال بعدما أنجبت بنتين ولم يتمسك بهما الأب، فهو يعرف جيدا أنها قادرة ماليا ومعنويا على تربيتهما بصورة أفضل منه .

فأمه من قامت على تربيته والعناية به حتى وهو عائل لأسرة. دائما كانت تعينه بالمال حين لا يجد عملا ينفق منه على أسرته، أو عندما يؤثر الراحة على عناء العمل، كل ذلك كان سببًا مقنعًا لأهلها ليرتضوا أن تنفصل وتعود إليهم أمًا وبنتين، بل كان سببًا أيضًا لسعادة أخفوها ببضاعتهم التي رُدت إليهم.

❊ ❊ ❊

الفهرس

إهداء ٥
إعادة تدوير ٧
وعد ٩
هلال العيد ١٢
أجيال ١٦
عطر خجول ٢٢
من أحياها ٢٥
قسمة ونصيب ٣١
رسول الإبداع ٣٦
ما .. عاش ٤١
بلا هدف ٤٤
البخلاء ٥١
حب بلا نهاية ٥٥
عروسة ماما ٥٩
لا ينسى ٦٦
حكاية جرح ٦٩
آت من الماضي ٧٢
حب افتراضي ٧٥
قمري ٨٢
لحن الموت ٨٩
وردة بلا ربيع ٩٢

obeikan.com

الإسكندرية ج . م . ع

(+٢) ٠١٠١٨٨٣١٣٦١

(+٢) ٠٣/ ٥٧٦٥٧٧٧

حسناء للنشر والتوزيع

opeikan.com